التربية
وأحداث العنف في التعليم
وأثرها على سلوك أبنائنا

د / مراد حكيم بباوي

استاذ المناهج وطرائق التدريس والخبير التربوي

إن الحياة عندما تصبح عملية مصاحبة لتجربة التلميذ المتطورة مع تطور الفكر المجتمعي ، الذى تقوم وظيفته على عدة عوامل تؤثر في حياته إما بالإيجاب أو بالسلب ، فتمر صور الموقف عند التلميذ إن كانت بالحب أو بالكره ،بعدة نقاط ،**كالموقف الحدسى**: وهو أن الموضوع الماثل أمام التلميذ يوقف عمليات البرهنة والاستدلال العقلى ، ويدفع إلى الحدس المباشر والعيان الملموس ؛ فيميل إليه أو ينفر منه. ثم يأتي **الطابع العاطفى** أو الوجدانى، أى أن الموضوع الماثل أمام التلميذ غير فيه أحاسيس وانفعالات خاصة. ثم يأتي **التداعى:** وقد تنبه هذه الانفعالات ذكريات ماضية للتلميذ فيشعر بالتأثر.ثم يحدث **التقمص الوجدانى:** أو التوحد وهو أن يضع التلميذ نفسه موضع الأثر للخبرة التي مر بها في حياته ؛ فتتحقق بينهما مشاركة وجدانية ؛ وهذا هو ما يجعل هناك مشاركة بين التلميذ وزملائه وبينه وبين معلميه في آلامهم وأفراحهم ، ويظهر على قسمات الوجه ما يشير إلى تفهم لمواقف

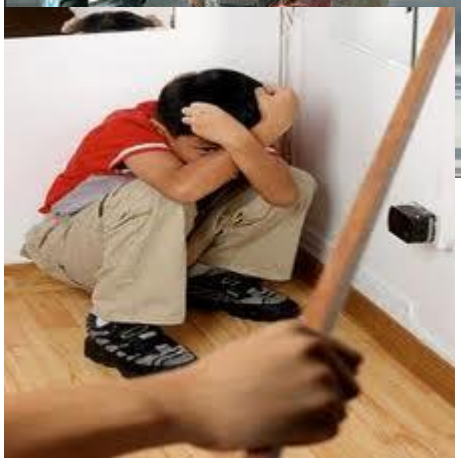

السلوك الذي يقوم به المعلم أو المعلمة والتوحد معها إذا كانت عاطفة سامية أم عاطفة يشوبها سلوك عدواني وقصوة، نتيجة للتقمص الوجدانى ، ودلالته المعنوية ، وشحنته الوجدانية . ومعنى هذا أن التلميذ فى هذه الحالة قد نفذ إلى الكيفية الوجدانية لهذا العنف ، وأنه اقترب من الحدس الأصلى لعنف المجتمع الذى أثارته وتثيره مشكلات الحياة وخاصة بعد ثورة يناير، وهنا يحس التلميذ بذاته خلال ممارسة العنف للحصول على احتياجاته من واليديه أو من زملائة أو مجتمعه.

ومن الاحداث الاخيرة في المجتمع المصري والتى يمر بها التعليم المصرى وخاصة العنف ضد المتعلمين، وخاصة التلميذات غير المحجبات سواء بقص الشعر داخل الفصل الدراسي بما يولد الحقد والغيظ وحب الانتقام عند الفتاه ،أو حرق شعر فتاه أخرى غير محجبة بالمترو أمام جموع الحاضرين دون أن ترى النخوة المصرية الأصيلة في الدفاع عن هذا الظلم البين.

بالإضافة إلى ظاهرة عدم تكريم التلميذات المتميزات غير المحجبات بالرغم من وجود الكفاءات، قد يضع العنف هو السائد لأن لكل فعل رد فعل مضاد له ، متأثراً بسلوك المعلمين غير المسئول بصفة عامة من عنف وضرب للتلاميذ ، يكون مردوده عنف مضاد له في القوة والبطش بكل ما هو جميل وثمين في المجتمع.

وفي التعليم يجب أن تعتمد العمليات التعليمية الناجحة على الحب والتقدير والتفاهم بين المعلم وتلميذه فى تناول المحتوى التعليمى (دون استخدام العنف والضرب للتعليم والحفظ والتلقين) من خلال أنشطة تدفع إلى نبذ الحقد وتدعو إلى المواطنة وحب الوطن وحب الغير والشعور بالانتماء ، وعندما يشرع المعلم فى التدريس وهو كما هو متعارف عليه عبارة عن عملية تفاعل تحدث بين التلاميذ والمعلم وعناصر البيئة المختلفة التى يهيئها المعلم من أجل إكسابهم المعلومات والمهارات والاتجاهات وقيم الخير والحق والجمال التى ينبغى تحقيقها ليكون لها مردود بالمجتمع في صورة سلوك إيجابي سوي ، وفى هذه العملية يستخدم المعلم أساليب عديدة للتفاعل الفعلى مع تلاميذه وبذلك يصبح التدريس بمفهومه الواسع معبراً

عن عملية التدريب على استخدام طرق استغلال وصيانة بيئتة ومجتمعه من الفساد ،وإحداث تغيراً مقصود فيهما ، عن طريق تنظيم أو إعادة تنظيم عناصرها ومكوناتها بحيث تستحث المتعلم وتمكنه من الاستجابة أو القيام بعمل أو أداء سلوك معين فى ظروف معينة وزمن محدد لتحقيق أهداف مقصودة ومحددة .

وهنا يجب التنويه إلى أن هناك حاجة الى بنية قانونية مختلفة فى التعليم لمعالجة كل هذا القصور، وهو مد سلطة المحاسبية لمن ينتهك حرمة مجال التربية القويمة، وأن يكون المعلم الفاسد عبرة لغيره لمن لا يحترم قانون التعليم كما نحتاج الى تهيئة وتعديل سلوك المعلم وإعادة تأهيله لأن المعلم المتمكن يكون قادراً عل أداء عمله بمهارة ، دون الحاجة إلى العنف والضرب لفرض السيطرة وبث اتجاهاته الشخصية أو الدينية على تلاميذه.

هذا لا ينفي العنف السائد في المجتمع الأن من المسئولية مع انتشار الفكر الدينى المتسلط والمتطرف ، والذي يتيح التهكم على الغير بحجة الجهاد في سبيل الله.. ومعها يحل القتل والإيذاء والإلام، والتعدي على الحريات وخاصة مع الانفلات الأمني وغياب القانون في الردع لمن تسوله نفسه ليجعل من ذاته جلاداً للمجتمع ، معتبرا نفسه حامي الفضيلة وهو الذئب في ثوب حمل لابساً ثوب الفضيلة ، وهو يملأ الدنيا فساداً ،ويعد على حبات سبحته كم من المال جمع ،وكم من الأبرياء ظلم، وكم من الأخرين جرح وقتل، بأسم التدين والدين منهم براء... في النهاية يكون العنف هو السائد فقد (ساد الفساد فساد).

ولا يعفى من اسباب ذلك العنف ما يمارس من عنف منزلي بين الأب والأم ، والتفرقة بين الأبناء ،وممارسة المنهج الخفي في التفرقة بين البنت والولد... وعدم متابعتهم لأبنائهم للتعرف على حسن سير دراستهم ،وتقويم سلوكهم.

وعلى الأسرة إمداد أبنائهم بالفكر الواعي تجاه ما يحدث بالوطن الأن واتخاذ الحذر في معاملة الأخرين، وعدم مسايرة العنف بالعنف ،بل بالحكمة واستخدام أساليب دفاعية تحفظهم من التورط في مشكلات ما يدعون أنهم أصدقاء، والدافعون لأبنائنا للمبيقات كالتدخين أو الإدمان المسبب للعنف.وعلينا كأباء أن نسمح لأبنائنا بممارسة ألوان من الأنشطة التعليمية والفنية للتغلب على أوقات الفراغ والتنفيس عن قوى الغضب كما تتيح التعرف ذاتياً على نواحى القوة ونواحى الضعف في سلوكهم سواء فى

النواحى المعرفية أو السلوكية، وبالتالى يكون المتعلم قادراً على اكتشاف أساليب البدء فى تطوير أداءه إلى مستوى أفضل بتوجيه وإرشاد من أهله .